

المحاضرة 11: القصة القصيرة. الريادة:

يعرّف الناقد "سوسن رجب" القصة بأنها عمل أدبي يصوّر حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة، يتعمق القاص في تقصّيها والنظر إليها من جوانب متعددة ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الارتباط بزمانها ومكانها وتسلسل الفكرة فيها، وعرض ما يتخلّلها من صراع مادي أو نفسي، وما يكتنفها من مصاعب وعقبات، على أن يكون ذلك بطريقة مشوقة تنتهي إلى غاية معينة.

الريادة:

نشأت القصة القصيرة الجزائرية متأخرة بالنسبة إلى القصة في المشرق العربي، نتيجة وضع خاص وظروف عرفت الجزائر دون غيرها من الأقطار العربية، وقد كان المستعمر الفرنسي وتبعاته العائق الأكبر والسبب الأول في تأخر ظهورها.

ظهرت القصة الجزائرية في شكلها البدائي أكثر ارتباطا بالحكاية والمقامة والمقالة القصصية، أما القصة الفنية فلم تكن بداياتها إلا بعد الحرب العالمية الثانية لتتطور بعد ذلك.

ولعل أولى المحاولات القصصية كانت بعنوان "المناظرة بين العلم والجهل" 1908 لعبد الرحمان الديسي؛ وهي مزيج بين شكل الحكاية والمقالة القصصية الاجتماعية والمقامة الأدبية. ومن المحاولات ذات النزوع القصصي فترة الثلاثينيات "السعادة البتراء"، "تموز" "في القطار" لمحمد بن العابد الجلاّلي، والذي نشرها بمجلة الشهاب في أعداد مختلفة بين (1935-1937)، كانت مزيجا بين الحكاية والمقالة القصصية في الوقت نفسه، وقد جمعت بين الرؤية الإصلاحية والحس الرومانسي.

وقد ذهب الدارسون إلى أنّ أول قصة قصيرة هي "دمعة على البؤساء" لعلي بكر السلامي، بينما البعض الآخر يعتبر قصة "فرانسوا والرشيد" للكاتب محمد سعيد الزاهري أول قصة جزائرية ظهرت على صفحات الجرائد. غير أن القصة في شكلها الأدبي الفني المعروف فلم تفرض وجوده إلا في الأربعينيات ابتداءً من بعض محاولات الأديب "أحمد رضا حوحو" الذي بدأ يكتب بعدما استفاد من تجاربه السابقة إضافة إلى ثقافته في الآثار الغربية خاصة الفرنسية؛ فقد كتب "صاحبة الوحي" 1954، و "نماذج بشرية" 1955.

ومن المحاولات التأسيسية لفن القصة التي لم تخرج عن شكل الحكاية والمقالة القصصية في مضمون ثوري إصلاحي "لصوص جبناء"، "تستاهل"، "في يوم إيقاف الحرب"، "لا أفارق الجزائر" لأحمد بن عاشور. وقد اغتنت هذه الفترة بإنتاج قصصي معتبر نشرته صحف عربية ومجلات أدبية لها وزنها مثل مجلة الفكر التونسية والآداب اللبنانية، من الأسماء وعت التجربة منهم أبو العيد دودو، الجنيدى خليفة، الطاهر وطار، حنفي بن عيسى، عبد الحميد بن هدوقة، عثمان سعدي، محمد الصالح الصديق، فاضل المسعودي وغيرهم.

وقد صدر في الخمسينيات ومطلع الستينيات للطاهر وطار "دخان من قلبي"، لعبد الحميد بن هدوقة "ظلال جزائرية" 1961، لعبد الله ركيبي "نفوس ثائرة" 1962، للبهى فضلاء "دقت الساعة" 1968، لزهور ونيسي "على الشاطئ الآخر" 1988، لأبي العيد دودو "بحيرة الزيتون" 1967، ولمحمد الصالح الصديق "عميروش وقصص أخرى" 1964.

القصة الجزائرية في مرحلة التأسيس تدخل ضمن الأدب الواقعي الثوري الملتزم بالقضية الوطنية على حساب الصياغة الفنية.